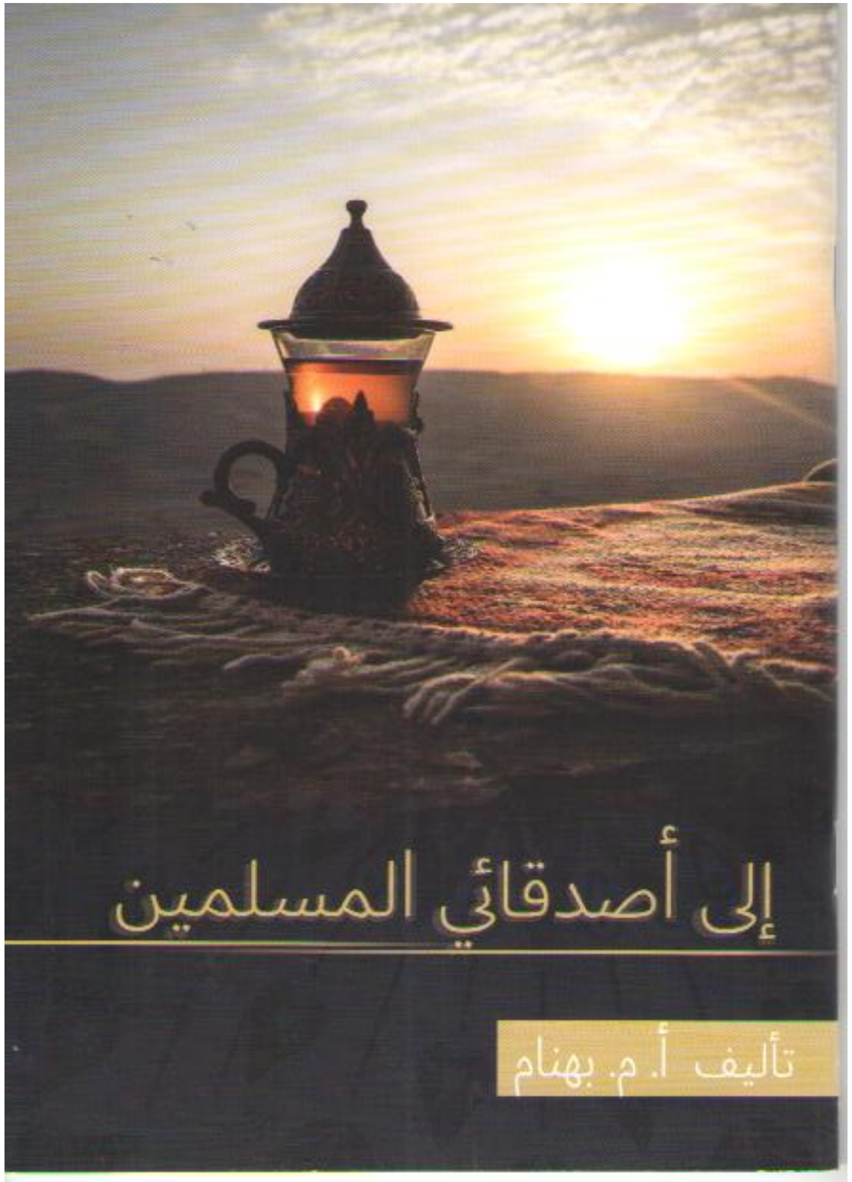

تمهيد

كان من امتيازي على مدى سنوات طويلة، أن يكون لي مناقشات دينية ودودة، مع بعض زملائي المسلمين، سواء في موطني مصر، أو في الولايات المتحدة.

ولم تتحول أبدًا هذه المناقشات إلى مجادلات ساخنة، لكنها تميزت دائماً بالاحترام المتبادل.

وكانت هذه المناقشات أساسًا في شكل أسئلة، سُئلت بأدب ولياقة. وهكذا كانت الإجابات أيضًا بطريقة مُهذبة، ولم يشعر أي طرف في أي وقت، أن مشاعره قد جُرحت، على الرغم من أننا تكلمنا بصراحة، فيما يختص بالصعوبات التي يواجهها كل طرف في معتقد الآخر.
وهذا الكُتيب هو حصاد هذه المناقشات، والتي من خلالها، أصبحت واعيًا بالعثرات، التي يواجهها المُسلم فيما يتعلّق بالإيمان المسيحي.

وأنا مُمتن لكل أصدقائي، الذين معهم كانت لي هذه المناقشات، وأرجو أن يكون هذا الكُتيب، معونة لكل باحث مخلص عن الحق.

أ. م. ب
أغسطس ٢٠٠٤

مقدمة

من ضمن العقائد الرئيسة في العالم المسيحية والإسلام. وكل منهما تدّعي أنها الحقّ معلناً من الله الحي الحقيقي، الذي خلق السموات والأرض. لكن لسوء الطالع فإن السواد الأعظم من معتنقي كلتا العقيدتين، بالكاد يعلمون القليل، لو علموا عن معتقدات الآخر.

قال أحدهم: إنه في مصر، حيث يعيش المسلمون والمسيحيون معًا في تناغم، في معظم الأوقات على الأقل، فإن كل ما يعلمه المسلمون عن المسيحيين، إنهم يمنعون تعدد الزوجات، لكنهم يأكلون لحم الخنزير، وكل ما يعلمه المسيحيون عن المسلمين، أنهم يمنعون أكل لحوم الخنزير، لكنهم يسمحون بتعدد الزوجات. ولهذا السبب، فهم يكونون جيرانًا، أو أصدقاء، أو ربما زملاء في العمل، لكنهم لا يناقشون المسائل الدينية.

كمسيحي نشأ في مصر، وكان له أصدقاء مسلمون، وكانت صداقتهم مبعث سروره، فينبغي عليّ أن أقر، أنه خلال ثمانية وعشرين عامًا عشتها في مصر، فإني لم أتعرّض أبدًا للإهانة، ولم يُجر عليَّ بواسطة أي مسلم. كان هذا منذ خمسين عامًا، وأنا أعتقد أن الحال باقٍ على ما هو عليه في مصر.

لكن في السنوات القليلة الماضية، على كل حال، قد استجدت بعض التطورات غير المُسرة، والتي تشمل تدهور العلاقات بين القليل من تابعي هاتين العقيدتين، وهذا بالأخص بين بعض القادة المتكلمين، والوعاظ من هاتين العقيدتين. وقد أدى هذا التشهير إلى إيذاء المشاعر وهدم الثقة.

بينما إنه من السليم، بل من الضروري، أن يكون هناك قناعات قوية، إلا أن ما لا يليق، هو أن تتكلم بطريقة فيها إزدراء لدين الآخر. من الأعقل بالنسبة للواعظ المسيحي، أن يُعلم عقائد الإيمان، وأن يرفض أي تعليم يتناقض مع الكتاب المقدّس، ولكن من غير المعقول، أن يستخدم لغة فيها إزدراء من خلال وسائل الإعلام مثلاً لدين الآخر.

من المفهوم أن إماماً مسلمًا، يستطيع أن يعظ سامعيه أن يثبتوا في تعاليم القرآن، لكنه ليس بصواب أن يصف المسيحيين بالكفار، بينما تُنقل كلماته عبر الميكروفون، وتصل إلى مسامع المسيحيين. فهذه الطرق من كلا الطرفين، سوف لا تُكسب المُتحدث مُتحولين جُدُد، لكنها سوف تنتج فقط كراهية أو بُغضة، وقد تقود المتطرفين وغير الثابتين إلى تصرف مارق، أو حتى أفعال إجرامية.

إن الكتاب المقدّس، يعطينا أمثلة في كيفية تبشير الناس من ديانات أخرى. فليس علينا أن نهاجمهم أو نهينهم، لكن ببساطة أن نُقدم الأخبار السارة. حينما ذهب بولس الرسول إلى أفسس، حيث قضى ثلاث سنوات هناك، فإنه وعظ بأخبار الخلاص السارة، لكنه لم يهاجم الديانات الوثنية، ولم يتكلم ضد الآلهة الكاذبة ديانا (أرطاميس الأفسسيين).

فإن الكاتب المسئول عن النظام في المدينة، شهد لهذه الحقيقة، وبهذا استطاع أن يفض الجموع التي كانت تُقاوم التبشير، وهذا مُسجل في سفر الأعمال ١٩: ٣٧.
«لأَنَّكُمْ أَتَيْتُمْ بِهذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَهُمَا لَيْسَا سَارِقَيْ هَيَاكِلَ وَلاَ مُجَدِّفَيْنِ عَلَى إِلهَتِكُمْ.»

ولا بولس قد تكلم على الملأ ضد ديانات زائفة أخرى، لا في آسيا الصغرى (حالياً تركيا) ولا في أوروبا، لكنه دائمًا كان يقدم الحقّ، وصلى من أجل خلاص الناس، الذين قُدمت لهم أخبار الخلاص السارة. وهذه رغبتي أن أتبع نفس المبدأ، أن أُقدم ما أؤمن به، وليمتحن القارئ ما أقول، ثم يُقرّر لنفسه.

الله لا يُرغم أحدًا، أن يتبع معتقداً ضد إرادته، هذا ليس طريق الله، والأكثر من هذا، فما سأفعله فإني سأفعله بروح المحبة. ولهذا السبب فإني قد عنونت هذا الكتيب ب «إلى أصدقائي المسلمين»، لأن الصداقة تُمكننا من مُناقشة الأمور بطريقة ودودة، وتمنعنا من إيذاء مشاعر أحدنا الآخر. ولقد كتبت هذا أيضًا بسبب تقديري للكثير من الأصدقاء المسلمين، الذين أُقدّر صفاتهم الأدبية، والذين كانوا أمناء في صداقتهم. ولقد استمتعت مع البعض

منهم بمناقشات ودودة لأمور دينية هامة.

إن الهدف من هذا الكُتيب، أن أُناقش تعاليم الكتاب المقدّس الأساسية، والتي غالبًا ما يُساء فهمها، والتي قد تبدو للمسلم المخلص، على أنها تجديف.

« اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَداً.» (اكو ١٣: ٨)

الفصل الأول
الكتاب المقدس

نظرة عامة

يتكّون الكتاب المقدّس من جزئين، العهد القديم والعهد الجديد.

العهد القديم:

كتب العهد القديم بواسطة رجال الله، قبل مجيء المسيح إلى الأرض، ويبدأ بأسفار موسى الخمسة، والتي كُتبت بواسطة موسى النبي، وأول هذه الكتب الخمسة، هو سفر التكوين، والاسم يعني الأصول أو البدايات، ويُفتتح سفر التكوين بالعبارة « في البدء خلق الله السموات والأرض» ويُعطي السفر بداية الجنس البشري، ودخول الخطية إلى العالم، انتشار الخطية الذي استلزم الطوفان في أيام نوح، وبداية الأمم واللغات، ودعوة إبراهيم، وينتهي سفر التكوين، بموت يوسف، وشعب إسرائيل يعيش في مصر.

والسفر الذي يليه هو الخروج، والذي يُفتتح بما حدث بعد موت يوسف، وعبودية الإسرائيليين، وخروجهم من مصر تحت قيادة موسى.

وتنتهي الأسفار الخمسة بموت موسى، بعد قيادته للإسرائيلين، حتى حدود أرض كنعان.

وتُعرف هذه الأسفار الخمسة بالتوراة، ويتبعها اثني عشر سفراً تاريخياً، والتي تبدأ بسفر يشوع، الذي قاد الشعب إلى كنعان، والتي تنتهي بسبيهم بواسطة البابليين، وخروجهم من الأرض، ثم رجوع أعداد قليلة، وهم الذين أعادوا بناء الهيكل، وسور المدينة.

وواضح لكل قارىء للكتاب المقدّس، أن التاريخ مُقدم بترتيب، لذا يسهل على القاريء، أن يتعلّم عن حياة إبراهيم، أو يوسف، أو موسى، أو داود.

ويتبع الأسفار التاريخية، خمسة أسفار شعرية، تُعرف بكُتب الحكمة، وتشمل سفر أيوب، والمزامير (الزبور)، والذي يتكّون من مائة وخمسين قصيدة، أو أنشودة روحية.

وثلاثة أسفار لسليمان، أكبرها سِفر الأمثال، ويلي الأسفار الشعرية، كتب الأنبياء، وهي ست عشرة نبوة، كُتبت ما بين الأعوام ٨٠٠ و ٤٠٠ قبل الميلاد.

وتحوي مئات النبوات، الكثير منها عن المسيح، ميلاده من عذراء، ولادته في بيت لحم، حياته وموته وقيامته، وكما سنرى لاحقًا، فإنها تتكلم أيضًا عن مجيئه العتيد كملك الملوك.

العهد الجديد :

دُونَ العهد الجديد، بعد صعود المسيح إلى السماء، ويبدأ بالأناجيل الأربعة، والسؤال الذي يتردد كثيرًا هو «لماذا أربعة أناجيل، وأي منهم أكثر مصداقية؟» كتبت الأناجيل الأربعة بوحي إلهي، لكن كل منها يُقدم وَجهَةً معينة عن المسيح.

فإنجيل مَتَّى يُقدم المسيح كالمسيا الموعود، الذي وعد به لإبراهيم ونسله، والذي فيه تتبارك جميع الأمم.

وقد وعد الله أيضًا داود، أنه من نسله سوف يأتي المسيح الملك. ولذا تذهب سلسلة نسب المسيح في الأصحاح الأول إلى إبراهيم وإلى داود.

وإنجيل مَتَّى يقدم المسيح أيضًا، كمن رُفض من الأمة، على الرغم من كل الأدلة، على الحق الذي أعلنه. وأكثر من ذلك، فإن إنجيل مَتَّى يُقدم المسيح، كالعتيد أن يأتي ثانية، في قوة ومجد. والذي سيُعرف كالملك الحقيقي المُعيَّن من الله.

ويحوي إنجيل مَتَّى، العديد من الاقتباسات، من العهد القديم التي تثبت هذه الحقائق لأمة اليهود التي رفضته.

إنجيل مرقس يقدم المسيح كالخادم، الذي لم يأت ليُخدَم بل ليَخدِم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين.

ولذا، ليس هناك احتياج لذكر سلسلة النسب، والتعبير المُميز للإنجيل هو «للوقت»، أو حالاً فعل يسوع هذا أو ذاك، مُبينًا كيف عمل يسوع باستمرار لبركة الإنسان.

إنجيل لوقا يُقدم المسيح كالإنسان الذي أتى لأجل كل الجنس البشري، وليس لأجل أمة واحدة فقط، ولذا تمتد سلسلة نسبه، في الأصحاح الثالث، إلى آدم رأس كل جنس البشر.

وأمثال المسيح تُبين، نعمة الله المُقدمة إلى أشر الخطاة، الذي يتوب ويؤمن.

وإنجيل يوحنا يُقدم المسيح كالذي كان منذ الأزل، والذي كل شيء به خلق ـ عمل.

وفي كلمة أخرى ـ وبتعبير آخر ـ فالأربعة أناجيل تُقدم المسيح كالملك، والخادم، والإنسان، والإله.

وبعد الأربعة أناجيل، لدينا سفر أعمال الرسل، والذي يُخبرنا كيف انتشرت المسيحية، إلى أنحاء كثيرة في العالم، من خلال تلاميذ المسيح، الذين أعطاهم الوصية، أن يذهبوا إلى كل العالم، وأن يبشروه بمحبة الله، وبأخبار الخلاص المُفرحة.

وقد فعلوا ذلك، دون استخدام تهديد، أو قوة سيف، أو رمح. بل بالأحرى مُضحِّين وباذلين لأجل خاطر الآخرين.

لقد اُضطهدوا، لكن استمروا في دعوة الناس، أن يرجعوا من الظلمة إلى

النور، ومن سلطان الشيطان إلى الله.
ويأتي بعد سفر الأعمال، واحد وعشرون خطابًا، تُسمى عمومًا بالرسائل، وهي تحوي حقائق تعليمية مُهمة، والتوجيهات بالنسبة للحياة العملية المرضية لله.

وأخيرًا يوجد سفر الرؤيا، والذي يخبرنا عن أحداث المستقبل. فالكتاب يبدأ بخلق السموات والأرض، وينتهي بالسماء الجديدة، والأرض الجديدة العتيدتين.

« كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ.» (٢ تيموثاوس ٣: ١٦)

هل حُرِّف الكتاب المقدس؟

من المهم لكل مسلم، أن يعرف إن كان الكتاب المقدّس قد تحرَّف أم لا، فالقرآن يقول بكل وضوح وتشديد، أن الكتاب المقدّس قد أتى من عند الله، وأن وصاياه ينبغي أن تقبل لدى كل المؤمنين.

وواحد من العناصر الأساسية للإيمان في الإسلام، هو الإيمان بالكتب المعطاة من الله قبل الإسلام. فإذا لم يكن الكتاب المقدّس قد حُرِّف، لزم أن يؤمن المسلم بالكتاب المقدّس.
وهناك بعض الآيات القرآنية، في بعض السور التي تشهد عن المصدر الإلهي للكتاب المقدّس

- سورة المائدة ٥: ٤٣-٤٨ ، ٦٨
- سورة النساء ٤: ١٣٦
- سورة الإنعام ٦: ٨٩-٩٠
- سورة القصاص ٢٨: ٤٩
- وفي صورة النحل ١٦: ٤٣

«اسأل أهل الكتاب» بحسب ترجمة ن. ج. داود، وفي تفسير الجلالين، يشير بوضوح إلى أولئك الذين يعرفون التوراة والإنجيل (وهذا يعني الكتاب المقدّس)

ومما تقدم نستطيع أن نرى، أنه كم من المهم للمسلم، أن يعرف إن كان الكتاب المقدّس قد تحرف بعد ظهور القرآن. من الواضح أنه لا يمكن أن يكون قد تحرّف قبل ظهور القرآن، لأن الله لم يكن ليذكر كتابًا قد فسد.

أدلة على أن الكتاب المقدّس لم يُحَرَّفْ

أول كل شيء، فان أكثر من ٧٥٪ من الكتاب المقدّس يقع في العهد القديم، والعهد القديم هو الكتاب المقدّس بالنسبة لليهود، وهو بالتمام نفس العهد القديم في كتاب المسيحيين المقدّس.

وغير وارد بالفكر أن اليهود والمسيحيين قد اتفقوا على تغيير الكتاب بنفس الطريقة تمامًا، بينما يرفض اليهود إيمان المسيحيين.

- إن العهد القديم، قد تُرجم من اللغة الأصلية العبرية إلى اليونانية، وكان هذا قبل ٢٠٠ سنة من مجئ المسيح إلى الأرض، فيما يُعرف بالترجمة السبعينية، والتي استمرت في الوجود بلا انقطاع، من وقت ترجمتها حتى الآن.
- ومن الحقيقة أن مقاطع كثيرة في العهد القديم، تدين اليهود لعدم إيمانهم وطاعتهم لنواميس الله، وإن كان لليهود أن يُحرِّفوا أي شيء، لكانوا قد حَرَّفوا هذه المقاطع.
ثانيًا: هناك الكثير من النسخ القديمة للكتاب المقدّس، يرجع تاريخها إلى مئات السنين، قبل ظهور دين الإسلام، هناك أكثر من خمسة آلاف مخطوطة للعهد الجديد في اللغة اليونانية، وعشرة آلاف مخطوطة في اللغة اللاتينية، والتي كتبت في القرن الثاني، والثالث الميلادي.
- وُجدت نسخ في مصر، في الاسكندرية في الشمال الغربي، وفي أخميم في أقصى الجنوب، وفي سيناء في الشمال الشرقي، وكلها تتفق في محتوياتها.
- وُجدت بعض النسخ القديمة جدًا (في كهف)، عام ١٩٤٧ في كهف بوادي

قمران، الذي يقع بالشمال الغربي للبحر الميت، فيما يُعرف بلفائف البحر الميت، وكل منها مُماثل للكتاب المقدّس الذي بين أيدينا اليوم.

وهذه حقائق لا تُنكر، وتثبت أن الكتاب المقدّس لم يتغير أو يُحرّف.
ثالثًا: لقد تُرجم الكتاب المقدّس إلى لغات كثيرة، في القرن الثاني والثالث، ووُجدت نسخ عديدة في كثير من الأقطار المختلفة، والسؤال هو «كيف يمكن جمع كل هذه النسخ في اللغات المختلفة، ومن مختلف الأقطار، لتحريفها بنفس الكيفية؟ إنه أمر غير معقول.

أخيرًا: إن كان للمسيحيين أن يغيروا كتابهم، ألم يكن حريٌّ بهم أن يغيروا تلك المقاطع صعبة التفسير، والتي انقسموا بسببها؟ الكتاب المقدّس لم يُحرَّف. وهذه حقيقة لا تُنكر.

وعلى أولئك الذين يتهمون المسيحيين بأنهم قد حَرَّفُوا كتابهم، أن يكونوا قادرين على إجابة هذه الأسئلة:
متى حُرِّف الكتاب المقدّس؟
من الذي حرفه؟
ماهي الأجزاء التي حُرّفت؟ ولماذا؟
ماذا كانت تقول في اللغات الأصلية؟
ومن الواضح أنهم لا يستطيعون أن يجيبوا هذه الاسئلة، لأن الكتاب المقدّس لم يحرّف أبدًا.

بين الوحي والترجمة :

الكتاب المقدّس قد أُعطيَ بوحي من الله، وهذه الحقيقة مشهود لها من القرآن، كما رأينا بالإضافة إلى ذلك، هناك براهين أخرى، وهذا يتضمن النبوات الكثيرة التي تحققت حرفيًا، بالرغم أنها كتبت قبل زمن حدوثها بوقت طويل.
أيضًا التأثير الذي للكتاب المقدّس على الأفراد، والعائلات والمجتمعات يثبت مصدره الإلهي.
ولقد تُرجم الكتاب المقدّس كله لمئات من اللغات.

ولقد تُرجمت أجزاء منه، مثل الأناجيل، أو العهد الجديد، إلى حوالي ألفي لغة.

والمُترجمون يُعطون عناية فائقة في عملهم، في بعض الحالات مثل اللغة الانجليزية، هناك ترجمات عديدة، وهذا قاد البعض للتفكير، أنه يوجد أكثر من كتاب مقدّس، وأننا غير مُتأكدين أيهما هو الحقيقي.

الحقيقة أنه يوجد كتاب مقدّس واحد، حتى لو كان هناك أكثر من ترجمة لنفس اللغة.

وهذا حقيقي أيضًا بالنسبة للقرآن، لبكتهول، وح سال، وأ.يوسف علي، و ن - ج. داود. ولدى الاثنان الأخيران، ويوجد اختلافات في النصوص بينهم، لكن يوجد قرآن واحد.
ماذا عن إنجيل برنابا؟

دائمًا ما أندهش، عندما يسأل أصدقائي المسلمين، عما يُعرف «بإنجيل برنابا».

ومبعث دهشتي، هو أنه في كل مرة يكون من ذكره لم يقرأ أبدًا، ولا حتى رأى نسخة من هذا الإنجيل المزيف. هناك الكثير من البراهين على أنه ليس إنجيلاً حقيقيًا. سوف أذكر منها القليل، ولأي شخص يريد أن يدرس المسألة، فإني أرشّح الكتب الدراسية الأتية:
* إنجيل برنابا، د.وليم كامبل، وقد نُشر بالإنجليزية في روالبندي - باكستان
* وإنجيل برنابا في ضوء التاريخ والعقل والدين، للكاتب عوض سمعان، وقد نُشربالعربية بالقاهرة، مصر.
باختصار، فإن هذا المُسمى إنجيلاً، هو مُزيف وينبغي أن يُرفض لأسباب كثيرة بينها أخطاؤه التاريخية والجغرافية والعلمية الكثيرة.

على أنه أيضًا، يتعارض مع كل من الكتاب المقدّس، والقرآن. ويكفي أن

نقول، أن الباحث المسلم الموقر جدًا: عباس محمود العقاد، قد نصح المسلمين، بألا يعولوا على هذا الإنجيل المُزيف، لأنه يتعارض مع القرآن، وواحد من هذه التناقضات، إنه يدّعي بأن يسوع (عيسى)، قد قال أنه ليس المسيح، لكنه محمد الذي يأتي، وقد أورد دكتور محمد شفيق غربال، في الموسوعة العربية الميسرة، تحت عنوان «برنابا»، أنه اسم لإنجيل مزيف، كتب بواسطة شخص أوروبي، في القرن الخامس عشر، وفي وصفه للبيئة السياسية والدينية للقدس (أورشليم)، توجد أخطاء فادحة، وقد لفت النظر لنفس الخطأ المتقدم، أن إنجيل برنابا، ادعى أن يسوع قد قال، بأنه ليس المسيح، لكنه أتى لكي ما يُبشر بمحمد، الذي سيكون هو المسيح.

ولكنمن الضروري أن ننوه، أنه من المؤكد، أن الكثيرين بدون أن يقرأوا، أو يروا هذا الكتاب، يدّعون أنه الإنجيل الحقيقي. ولكن من الواضح أنه مزيف.

والخلاصة:

رأينا أن القرآن قد أعلن بوضوح، أن الكتاب المقدّس قد أتى من الله، وقد أعطانا البراهين أن الكتاب المقدّس الذي لدينا اليوم، هو نفس الكتاب الذي كان في بداية القرن السابع، قبل ظهور القرآن باللغة العربية.

فالكتاب المقدّس لم يُحْرف مطلقًا.

«إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (مزمور ١١٩: ٨٩)

الفصل الثاني
الصلب

مقدمة

لكي يعرف شخص الحقّ، فلابد أن تكون هناك رغبة قلبية مُخلصة له، وتصميم على قبول الحق، بغض النظر عن التكلفة.

إن تغيير المعتقدات الدينية، ليس بالمسألة اليسيرة لأي شخص بواسطة الإقناع، إنه شيء مؤلم، ولكن يبقى كلام المسيح حقيقيًا جدًا، "وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ." (يوحنا ٨:٣٢). أن تعرف الحق، فعلى المرءِ أحيانًا أن يسأل الله لكي يعلن له. بينما على الشخص أن يتخلى عن كل شيء إن كان هذا ضروريًا له، والله مُستعد دائمًا أن يُعلن الحق للباحث المخلص، الشخص الذي يطلب من الله بلجاجة.

وقد رأينا أن الكتاب المقدّس لم يتغير، لذا دعنا نرَ الآن ما يقوله عن موت المسيح.

هل موت المسيح حقيقة؟

يوجد العديد من الأدلة التي تؤكد حقيقة موت المسيح.

العهد القديم :

يتكلم العهد القديم عن موت المسيح، ومن المعروف جيدًا أن العهد القديم هو الكتاب المقدّس لدى اليهود.

يحوي العهد القديم، العديد من النبوات عن موت المسيح، ولا ينكر اليهود وجود هذه النبوات، ويعترف الكثيرون من علمائهم الدينين، بأنها تختص بالمسيا الموعود (المسيح)، لكنهم ينكرون أن المسيا الحقيقي قد جاء أساساً، ويتهمون يسوع بأنه مزيف.

وحينما أتى لم يؤمنوا به، ولكن في حقيقة رفضهم له، تنبأ عنها أنبياؤهم كما سنرى.

وسوف نلقي نظرة الآن، على بعض النبوات في العهد القديم، التي تتكلم عن موت المسيح:

وأولى النبوات (إشعياء ٥٣)، هذا الفصل الذي يتكون من ١٢ آية أو عدد، كُتبت منذ حوالي ٧٠٠ سنة قبل أن يأتي المسيح إلى هذه الأرض.

وهو تنبأ بأن أمة إسرائيل لن تؤمن به، بالرغم أن الله أعلن قوته من خلاله عدد ١، "مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟."

وبالرغم أنه الشخص الذي سُر به الله في وسط عالم مجدب، في أرض يابسة، ألا أن إسرائيل لم ير فيه شيئًا جاذبًا ليشتهيه، عدد٢ "نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيهِ."

وليس فقط أنه لم يكن جاذبًا لهم، بل في الواقع لقد احتقروه ورفضوه، عدد ٣ " مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ."

فإن إسرائيل يرفض أن تكون آلامه عن آخرين، عدد ٤-٥ " لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا."

كلنا كنا كغنم ضالة، لكنه حمل دينونتنا، عدد ٦ " كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا."

وهذا لا يحتاج إلى تعليق، انه بالاختصار الأخبار السارة للإنسان.

والكثير من ذلك، نحن نتعلم من هذا الأصحاح، ان المسيح ذهب إلى الصليب طواعية. عدد ٧ " ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ."

وهذا عين ما نتعلمه من البشائر، وقد أنبأ به من قبل ٧٠٠ عام.

وبينما خطط إسرائيل أن يجعلوا دفنه مع الأشرار، وذلك إما بطرح جسده مع المجرمين إلى الجرف، أو يترك جثمانه ليُفترَس بواسطة الوحوش، كما كانت عادتهم بالتصرف مع ضحايا الصلب، لكن الله كان قد قرر أن يدفن جسده في قبر رجل غني. عدد ٩ " وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. "

وهذا تمامًا ما حدث كما نعلم من تسجيل الأناجيل، فنحن نعلم أنه دُفن في قبر رجل شريف وغني، يوسف الرامي (الذي من الرامة)، كما سُجل في (متى٢٧: ٥٧-٦٠)، و (مرقس ١٥: ٤٣-٤٦)، و (لوقا ٢٣: ٥٠-٥٣)، و (يوحنا ١٩: ٣٨-٤٠).

وتوصف حياته على الأرض بهذه الكلمات: "على أنه لم يعمل ظلمًا، ولم يكن في فمه غش" عدد ٩

وهذا يُشير إلى خلوه من الخطية، وإلى كماله.

وقيامته أيضًا سبق فأخبر بها في هذه العبارات: "يرى نسلاً (إشارة إلى نسله الروحي، أي المؤمنون به) تطول أيامه... من تعب نفسه يرى ويشبع. عدد١٠-١١ " أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. "

ومن العبارات الدالة في هذا الأصحاح، التي تُشير إلى موته بدلاً عنا، "وهو... يبرر كثيرين، وأثامهم هو يحملها. سكب للموت نفسه، وأحصي مع أثمة".

فقد صُلب المسيح بين لصين، "وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين" فقد صلب المسيح لأجلهم على الصليب. عدد ١٢ "لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ

وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ."
وهذا الأصحاح وحده يعطي البرهان لموت المسيح بدلاً منا.

ماذا يفعل اليهود الغير مؤمنين بهذا المقطع؟

لمدة حوالي ١٠٠٠ سنة بعد المسيح، كان مفسروهم يقولون: إن هذا الكلام عن المسيا الذي لم يأت بعد.

ولكن حالما وجدوا، أن الكثيرين من اليهود، الذين يقرأون هذه الأجزاء، يبدأون بطرح أسئلة، لم يستطيعوا هم إجابتها، حاولوا أن يجروا تفسيرات أخرى، وفي الوقت الحاضر، فإن اليهود لا يشملون هذا الأصحاح في قراءتهم الدينية، وفي الحقيقة ولا في تفسيراتهم أيضًا.

أعطاني زميل يهودي تفسيرًا للتوراة، به العديد من الإشارات لسفر إشعياء، لكن بلا إشارة واحدة إلى هذا الأصحاح، لأن هذا الأصحاح يعطي الدليل القاطع أنهم قد رفضوا مسياهم، وطالبوا بموته.

نبوات أخرى في العهد القديم :

هناك العديد من العبارات الأخرى في العهد القديم، التي تُشير إلى موت المسيح، فلقد تكلم النبي داود بالنبوة ١٠٠٠ سنة قبل المسيح، عن ثقب يديه ورجليه. "لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ." (مزمور ٢٢:١٦)، والذي من الواضح أنه لم يحدث لداود، لكنه صرخ المسيح حينما سمر للصليب، لقد تكلم أيضًا عن إعطائه الخل في عطشه "وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَماً وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاً." (مزمور ٦٩:٢١) والذي أيضًا تحقق على الصليب "بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: «أَنَا عَطْشَانُ». وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعاً مَمْلُوّاً خَلاًّ فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ. فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ." (يوحنا ١٩: ٢٨-٣٠) وأكثر من ذلك لقد تكلم داود عن اقتسام ثيابه والاقتراع على لباسه. "يَقْسِمُونَ ثِيَابِي

بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ." (مزمور ٢٢:١٨)
وقد حدثت كل هذه التفاصيل في الصلب، كما سجلت في الأناجيل.

ولقد أشار النبي زكريا، حوالي ٤٠٠ سنة قبل أن يأتي المسيح، إلى طعن جنبه بالحربة "وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ." (زكريا ١٢:١٠) الذي فعله الجندي الروماني، ليتأكد أن المسيح قد مات بالفعل، "فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقَيِ الأَوَّلِ وَالآخَرِ الْمَصْلُوبَيْنِ مَعَهُ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ. لَكِنَّ وَاحِداً مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ." (يوحنا١٩: ٣٢-٣٤)

تفاصيل كثيرة معطاة في العهد القديم، فيما يتعلق بموت المسيح على الصليب. والأحداث التي أحاطت به، والكل قد تحقق تمامًا كما جاء في النبوات، لأن كاتب الكتاب المقدّس هو الله، الذي يعرف الآخر في الأول.
وفي العهد القديم، الكثير من السرد عن أفراد وأحداث، والتي تعطينا ظلالاً مصوراً عن موت المسيح، هذه الأحداث حدثت بالحقيقة، وعندما ندرسها، فأننا لا نفشل أن نرى فيها دروسًا تلفت انتباهنا إلى حقيقة موت المسيح لفدائنا، ومثال جيد على ذلك، قصة تقديم إبراهيم لابنه، والمُسجلة في تكوين ٢٢، فإبراهيم في طاعة لوصية الله أخذ ابنه ليقدمه ذبيحة، وفي الطريق إلى المكان حيث كان مزمعًا أن يقدمه، لم يكن يعرف الابن أنه هو المزمع أن يُقدَّم، سأله: "يا أبي هوذا الحطب والنار لكن أين الخروف؟" قال إبراهيم: "الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني" أخيرًا حينما وضع ابنه على المذبح، وكان على وشك أن يذبحه، ناداه ملاك الرب من السماء قائلاً: "إبراهيم إبراهيم لا تمد يدك على الصبي، ولا تفعل به شيئًا" لقد أثبت إبراهيم طاعته الكاملة لله. فنظر إبراهيم خلفه كبشًا مُمسكًا في الغابة بقرنيه، فأخذه وقدمه عوضًا عن ابنه.
وتعلمنا هذه القصة الواقعية، الاحتياج لفادي، كان الكبش رمزًا وظلاً للفادي الحقيقي.

قطعًا لم يكن الكبش ذبيحة مُكلفة، كي يكون ذبحًا عظيمًا، على كلٍ، كان

إبراهيم غنيًا جدًا وأن يقدم كبشًا عوضًا عن ابنه كان شيئًا زهيدًا جدًا، بجانب ذلك هو لم يدفع ثمنًا لكبش، لقد رتب الله الذبيحة التي تُقدم له، كان الكبش رمزًا أو ظلاً للفادي الحقيقي.

لكن الكتاب المقدّس يُقرر بوضوح أن دم الحيوانات، سواء غنم تيوس أو عجول لا يمكن أن يدفع عن مذنوبيه خطايانا "لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا." (عبرانيين ١٠:٤)

ولا بين من الخراف التي قدمت بواسطة اليهود عبر القرون، لكن حينما أتى المسيح، فإن يوحنا المعمدان (الذي يُعرف في الإسلام بـ يحي بن زكريا) أشار إليه قائلاً: " هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ." (يوحنا ١:٢٩). فلم تكن كل الذبائح الحيوانية أكثر من ظل للفادي الحقيقي: يسوع المسيح.

* مثال آخر هو خروف الفصح

حينما كان الله موشكًا أن يُخرج شعبه من أرض مصر، أعطى لموسى النبي تعليمات مهمة، قال له: على كل بيت أن يأخذ شاة بلا عيب، ويذبحها وأن يضع الدم على العتبة العليا والقائمتين للباب، وكان الله مزمعًا أن يميت البكر في أرض مصر، لكنه وعد بأن يعبر عن أولئك الذين لهم الدم خارج أبوابهم، قال الله لموسى انه عندما يرى الدم، فانه لن يسمح للملاك المهلك بأن يقتل أبناءهم، وبينما حدث هذا واقعيًا، لكنه أيضًا كان ظلاً لموت المسيح الذي هو الأساس لخلاصهم.

وفي العهد القديم العديد من هذه الأمثلة.

والخلاصة: فإن العهد القديم يُعلن موت المسيح، سواء بعبارات واضحة مثل إشعياء أصحاح ٥٣ أو بالرموز والظلال.

العهد الجديد :

يعلمنا العهد الجديد، أن المسيح مات على الصليب وقام أيضًا في اليوم الثالث، لقد أخبر المسيح تلاميذه بهذا مقدمًا، والاقتباسات التالية من إنجيل متى

لهي كافية. وتشهد بقية الأناجيل بنفس الحقيقة.

متى ١٦: ٢١ " مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيراً مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ."

متى ١٧: ٢٢-٢٣ " فِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «ابْنُ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ». فَحَزِنُوا جِدّاً. "

متى ٢٠: ١٨-١٩ «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ لِكَيْ يَهْزَأُوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصْلِبُوهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».

بالإضافة إلى ذلك، في نفس الأصحاح عدد ٢٨ يقول لتلاميذه، " كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ." إن هذا هو السببَ الذي لأجله أتى إلى الأرض.

والكثير من الآيات، يمكن أن تُقتبس أكثر مما تقدم فيها. أخبر المسيح تلاميذه مقدمًا، أنه سوف يموت وسيقوم في اليوم الثالث، وفي الحقيقة لقد أخبرهم متى وكيف يموت. في (متى ٢٦: ١-٢) نقرأ " وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هذِهِ الأَقْوَالَ كُلَّهَا قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ». "

ومن الشائق أن النبي دانيال قبل ستة قرون، قد أعطى نبوة أخبر فيها أن المسيح سوف يموت، تمامًا في هذا التوقيت. "وَبَعْدَ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ أُسْبُوعاً يُقْطَعُ الْمَسِيحُ وَلَيْسَ لَهُ وَشَعْبُ رَئِيسٍ آتٍ يُخْرِبُ الْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ وَانْتِهَاؤُهُ بِغَمَارَةٍ وَإِلَى النِّهَايَةِ حَرْبٌ وَخِرَبٌ قُضِيَ بِهَا. " (دانيال ٩:٢٦)

وكل من الأناجيل الأربعة، تعطينا بالتفصيل كثير من الأحداث، التي حدثت حينما أحضر المسيح أمام السلطات الدينية، وقبل هذا أمام السلطات المدنية، وأخيرًا أخذ للصليب ولا أحد ممن يقرأ السرد في (متى ٢٦-٢٧)،

و (مرقس ١٤-١٥)، و (لوقا ٢٢-٢٣)، و (يوحنا ١٨-١٩). يخطئ أن يرى بوضوح واقناع أنه كان المسيح متى ألقي القبض عليه وسمرّ إلى الصليب، مات ودفن.

لقد كانت مريم أم يسوع بجوار الصليب، ورأت ابنها، وعرفت أنه هو الذي قتلوه. ويوحنا التلميذ الذي كان قريباً له كان واقفًا هناك، كان شاهد عيان، ولم تكن الكلمات التي نطق بها المسيح على الصليب، من الممكن أن تُقال بواسطة أي شخص آخر.

فأول ما قاله: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». (لوقا ٢٣: ٣٤)

لم يكن يهوذا ليقل ذلك

ولا يستطيع أحد أن يقول للص الذي تاب وآمن بالمسيح، "الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ." (لوقا٢٣:٤٣)

المسيح فقط ولا أحد غيره يستطيع أن يقول هذا. ثم هناك كانت كلماته الأخيرة على الصليب: "يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ." (لوقا ٢٣:٤٦)

ويلزم كل باحث مُخلص، أن يقرأ الرواية في كل من الأناجيل الأربعة، عندئذ لن يكون عنده شك في حقيقة موت المسيح على الصليب، من الجلي أن التلاميذ لم يخترعوا قصة موته، في الواقع كانوا حزانى ومحطمين كلية حتى رأوه ثانية بعد قيامته.

وبعد قيامته ظهر المسيح لتلاميذه مرات عديدة في مدة أربعين يومًا، معطيًا إياهم أدلة لا تُخطئ، بأنه قام من الأموات. لم يكن لديهم شك في موته، لكنه أراد أن يُبرهن لهم أنه بالحقيقة قام جسديًا من الموت، وهذه الحقيقة مذكورة في الأناجيل الأربعة.

أيضًا في (لوقا ٢٤: ٤٤-٤٨) شرح لهم أن موته وقيامته كانت تحقيقًا لما سبق وتنبأت به نبوات العهد القديم. وإن هذا سوف يكون الأساس، لرسالة الخلاص التي ينبغي أن يكرز بها لجميع الأمم "وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ

وَهُوَ أَوَّلُ الأُسْبُوعِ وَكَانَتِ الأَبْوَابُ مُغَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسَطِ وَقَالَ لَهُمْ: «سَلاَمٌ لَكُمْ». وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ."
(يوحنا ٢٠: ١٩-٢٠)

ونحن نعلم أنه في نفس يوم قيامته في المساء، ظهر لتلاميذه وقال لهم: "سلام لكم" وأراهم يديه حيث يمكنهم أن يروا مكان المسامير، وجنبه حيث طعن بحربة الجندي الروماني.

وهكذا أثبت لهم، أنه هو الشخص الذي صلب، وليس شخص آخر في مكانه.

والخلاصة:

فان الأدلة على أن المسيح مات على الصليب تتضمن:
- نبوات العهد القديم التي تتكلم عن موته.
- أنبأ المسيح تلاميذه مقدمًا، أنه سوف يموت ويقوم أيضًا.
- تُعطي الأناجيل رواية مُفصّلة عن موت المسيح.
- ظهر المسيح لتلاميذه بعد القيامة، وقال لهم لماذا مات على الصليب.

وهكذا ينبغي ألا يكون هناك أي شك حيال هذه الحقيقة الهامة.

رد على إعتراض

أثار الكثيرون اعتراضًا متسائلين لماذا لم يُخلّصه الله؟

هل أُرغم المسيح بواسطة هؤلاء الناس الأشرار؟ كان يمكن أن يكون هذا السؤال مبررًا، لو أن المسيح قد أرغم أو أجبر أن يموت، عندها لكنا على حق، ونحن نسأل هذه الأسئلة.

لكننا قد رأينا، أن المسيح قد أخبر تلاميذه، أنه أتى ليبذل نفسه فدية عن كثيرين.

أنه أتى ليموت نيابةً عنّا، نعم كان المسيح يقدر أن يخلّص نفسه إن أراد، لمّا أتى يهوذا مع الجند ليقبضوا عليه، قال لتلاميذه الذين أرادوا أن يدافعوا عنه، أنه إن أراد لكان يستطيع أن يطلب من أبيه، أن يُقدم له جيوشًا من الملائكة، ليُهلك أولئك الناس.

لكن حينئذ "فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟». " (متى٢٦: ٥٤-٥٣)

في الحقيقة كان يمكن للمسيح أن ينتصر على يهوذا بكلمة واحدة في (يوحنا ١٨: ٤-٦) " فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضاً وَاقِفاً مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ» رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. "

نحن نعلم أن الجند أتوا مع يهوذا ليقبضوا على المسيح في البستان ليلاً، سألهم من تطلبون؟ ولما قالوا: "يسوع الناصري" قال: أنا هو. ولما قال لهم هذا رجعوا كلهم إلى الوراء وسقطوا على الأرض، وكان حتمًا يستطيع أن يُخلّص نفسه في هذا الوقت.

والحقيقة أن المسيح لم يُخلّص نفسه من الموت، حيث نرى أولئك الذين رأوه على الصليب قد قالوا: لو كان الله قد سُر به لكان قد خلّصه من الموت، ومن المُفيد والمُهم أن النبي داود قد ذكر هذا في المزامير من ١٠٠٠ سنة قبل أن يأتي المسيح " كُلُّ الَّذِينَ يَرُونَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ. لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ." (مزمور٢٢: ٧-٨)

لكن المسيح لم يُخلّص نفسه من الموت، لأنه أتى طواعية لكي يموت على الصليب لاغراض مجيدة مهمة.
لقد أعلن المسيح من السماء:
"وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ"
(رؤيا ١: ١٨)

هل كان موت المسيح ضروريًا؟

إن موت المسيح ليس فقط حقيقة، كما رأينا بالكثير من الأدلة التي لا تسقط، لكن هناك أيضًا حقيقة مُهمة جدًا أنه الأساس للإنجيل، كلمة إنجيل تعني بشارة سارة، يكتب الرسول بولس إلى المؤمنين في كورنثوس في اليونان

(١كورنثوس ١٥: ١-٤)
" وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ وَقَبِلْتُمُوهُ وَتَقُومُونَ فِيهِ. وَبِهِ أَيْضاً تَخْلُصُونَ إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلاَمٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلاَّ إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثاً!. فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ . وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ."

حسب الكتب، تعني كما هو مكتوب في العهد القديم، ولكي تفهم أهمية موت المسيح، وحتميته المطلقة، نحتاج أن نعرف الحقائق الآتية:
كلنا قد أخطأنا.
الله قدوس ولا يتجاهل الخطية.
الله يحب الإنسان، ويعتبر قيمته عظيمة في عينيه.
في خلاص الإنسان ينبغي أن يكون الله عادلاً، ورحيمًا في نفس الوقت.

كلنا قد أخطأنا :

يوضّح الكتاب المقدّس، الذي هو كلمة الله الموحى بها أن: " إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ." (رومية ٣: ٢٣) والعديد من آيات الكتاب المقدّس تؤكد هذه الحقيقة، وضمائرنا أيضًا تصرخ داخلنا لتخبرنا أننا قد أخطأنا.
قال الملك سليمان الحكيم، ابن النبي داود أنه "لا إنسان صديق في الأرض، يعمل صلاحًا ولا يخطيء" (انظر جامعة ٦: ٢٠)
حتى لو أنه يعتبر رجلاً صديقًا.
لكن ما هي الخطية؟

يعتقد بعض الناس، أن الخطية هي فقط بعض الأعمال الشائنة الرديئة جدًا كالسرقة، والقتل، والزنا والتجديف. لكن الخطية يمكن أن تكون في شكل آثام مثل، كسر وصية، أو أخطاء هدف، وفي لغتنا العربية والتي هي لغة سامية نظير العبرية، إن لم يصب أحد الإجابة الصحيحة لسؤال نحن نقول "أنه أخطأ" نحن نستعمل نفس الكلمة عند ارتكاب خطية كالسرقة وبتعبير آخر، نحن نخطئ بالحقيقة عندما نعمل شيئًا لا يتناسب مع قداسة ومجد الله. إن ارتكبنا الزنا فنحن نخطئ بتعدينا على وصية، لكن إن استضفنا أفكاراً نجسة،

ونظرنا إلى صور قذرة، نحن نخطئ بفعلنا ما لا يتوافق مع قداسة الله.
ولهذا السبب قال المسيح " وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ." (متى٥:٢٨)
ينبغي علينا أن نتذكر، أن الله موجود في كل مكان، وهو يرى كل ما نفعله، ويسمع كل ما نقوله.

وقول الكذب في حضوره، هو مثل تجاهله أو عدم الاحترام له. ونفس الشيء ينطبق على قول النكات الدنسة أو الضحك لها. والسبب لإعطائي هذه التفصيلات هو حقيقة أن فكرتنا عما يشكل الخطية فقيرة جدًا عمومًا.
نحن أيضًا لا ندرك جدية الخطية، إنها إهانة لله عندما أخطأ النبي داود، لم يقل الله أنه نبي، لذلك له امتيازات خاصة، لكن الله أرسل له نبي آخر ليخبره أنه في خطيته هو قد احتقر الله، وفي هذا نرى كيف أن الخطية شيئًا جديًا.
وبجانب الخطايا التي نرتكبها، هناك خطايا ناتجة عن الإغفال فإن نظرت شخصًا محتاجًا، وكان في استطاعتي أن أساعده لكن لم أفعل فلقد ارتكبت خطية.

يقول الكتاب المقدس " فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَناً وَلاَ يَعْمَلُ، فَذَلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ." (يعقوب ٤:١٧)
وواضح إذًا مما تقدم، أننا جميعنا قد أخطأنا، وأن الخطية هي أمر جد خطير.

الله قدوس ولا يتجاهل الخطية :
من المستحيل لأحدنا، حتى لأكثر الناس تدينًا وورعًا، أن يدرك مدى قداسة الله، فالعهد القديم كما الجديد أيضًا يتكلم ويعبّر عن قداسة الله، عيناه أطهر من أن تنظر الشر، رأى إشعياء قبسًا من قداسة الله في رؤيا.
فالتعبيرات التصويرية التي استخدمت عبرت عن قداسته التي اقتضت أن الملائكة يغطون وجوههم، وهم غير قادرين أن يتطلّعوا إلى مجده.
لقد رأى إشعياء في رؤياه، أن الملائكة كانوا يعلنون قداسة بلا توقف قائلين قدوس، قدوس، قدوس. وكنتيجة لرؤية قبس بسيط من مجد الله، صرخ إشعياء في خوف عظيم، لأنه أدرك أنه خاطئ في محضر مجد قداسة الله الفائق.

ولكي ندرك العقاب المستحق للخطية، ينبغي أن نرى بشاعة الخطية بالمقابلة مع عظمة الله وقداسته.
إن سَّب تلميذ زميله، فهو يستحق عقابًا محدودًا.
لكن إن هو سَّب مُدرسًا، فإنه يستحق عقابًا أشد.
لكن إن سَّب مدير المدرسة، فالعقاب سيكون أقسى.
لكن إن هو سَّب رئيس الوزراء، أو أسوأ من ذلك، الملك، فسوف تكون العقوبة أقسى بكثير.

والآن توقف للحظة وفكر، كم نستحق كخطاة.
إن كانت العقوبة، تتناسب مع مكانة الشخص الذي أهين، فماذا عن إهانة الشخص الذي عظمته وقداسته لا تُحد لا نهائية وأبدية؟
الإجابة واضحة ومخيفة.

الله يحب الإنسان، ويعتبر قيمته عظيمة في نظره.
وهذه الحقيقة عمومًا غير مدركة من معظم الناس، فالاعتقاد الشائع أن الله رحيم وشفوق، ولكن كونه يُحب الإنسان حقا، فهذا غير معروف عمومًا. ولكنها حقيقة مؤكدة في الكتاب المقدّس، فالله وضع قيمة عظمى للنفس البشرية، وأوضح المسيح أيضًا، إن الإنسان لابد أن يُقيم نفسه أكثر من كل الممتلكات العالمية، وهذه كلماته التي قالها بالضبط "لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ " (متى١٦: ٢٦)
ومحبة الله للإنسان، تقدم في الكتاب المقدّس، كالسبب لموت المسيح كما سنرى. عندما خلق الله الإنسان، فإنه أثبت أن الإنسان له قيمة في عينيه.

وأول الكل: حينما خلق الله الإنسان، قال: "نَعْمَلُ الانْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا." (تكوين ١:٢٦)، وأعطاه السيادة على باقي المخلوقات. لم يقرّر الله هذه الأمور لأي من المخلوقات الأخرى.
ثانيًا: نفخ الله في الإنسان نسمة حياة، فصار الإنسان نفساً حية، نفساً تبقى إلى الأبد.
ثالثًا: لقد بارك الله الإنسان بعدما خلقه، متكلمًا إليه ومعطيًا إياه امتيازات كثيرة.

رابعًا: قبلما يخلق الله الإنسان، فلقد خلق الله كل ما يحتاجه الإنسان لراحته واستمتاعه، وبعدما خلقه وضعه الرب في جنة عدن الجميلة التي غرسها. انظر (تكوين ١ – ٢)

وفي واقع الأمر، فإن الله قد سُر على الدوام، أن يبارك الإنسان حتى بعدما أصبح الإنسان خاطئًا جدًا، وحتى بعدما جلب الله الطوفان في أيام نوح، فإن الله بارك الجنس البشري مرة أخرى، وحينما دعا إبراهيم فإن الله وعد أن يباركه، وأن يبارك قبائل الأرض من خلال المسيا الذي سيأتي من نسل إبراهيم.

وفي الواقع إننا نعجب، حينما نفكر في أنه كيف أحب الله البشر وقدَّرهم.

لقد قال داود النبي، إنه حينما ينظر إلى خليقة الله، السموات والقمر والنجوم، فإنه يعجب كيف يهتم الله بالإنسان ويعطيه كرامة" (مزمور ٨)

الله القدوس يحب الإنسان الخاطئ، ولكنه يكره خطيته لكن محبته ورحمته لا يمكن أن تكون على حساب قداسته.

في خلاص الإنسان لابد أن يكون الله باراً ورحيماً معًا.

من المستحيل لقاضٍ بشري، يتعامل مع جريمة كبرى، أن يكون عادلاً مطلقًا، وأن يكون رحيمًا للغاية في نفس الوقت، إن هو عفا عن المجرم قد يكون رحيمًا، لكنه ليس عادلاً.

وإن هو قرر العقوبة، حينئذ يكون عادلاً ولكن ليس رحيمًا.

من الممكن أن يكون عادلاً جزئيًا، ورحيمًا جزئيًا.

لكن الله لابد أن يُجري عدلاً كاملاً، ويبدي رحمة بلا حدود.

وهذا تم في موت المسيح التطوعي بدلاً عنا.

لقد حمل المسيح خطايا كل من اتخذه مخلصًا، لما مات على الصليب.

ولأن هذه الحقائق المتقدمة، ليست معروفة عمومًا، فالكثيرون يجدون أنه من الصعب تصديق أن المسيح مات لأجلنا، وفي الحقيقة يقول الكتاب المقدس: " فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ." (١كورنثوس١:١٨) وهذا بالطبع يُثير بعض الأسئلة التي ينبغي أن تُجاب.

أولاً: لماذا كان ينبغي أن يكون المسيح؟ لماذا المسيح بالذات؟

إنها حقيقة معروفة، أنك لا تستطيع أن تفتدي شيئًا، بما هو أقل قيمة منه. فمثلاً لا يمكنك فكاك مجوهرات ثمينة تُقدر بآلاف الجنيهات، بعشرين جنيهًا، وهكذا فإن فادي البشرية لابد وأن يكون له قيمة غير محدودة في نظر الله، وهكذا فإنه يقدر أن يُخلص كل من يقبله بالإيمان.

قال الله عن المسيح، إنه ابنه الحبيب الذي قد سُر به، والكتاب المقدّس يُعلمنا أن في المسيح قد سُر أن يحل كل ملء اللاهوت. فلذا هو يستطيع أن يفدي كل من يؤمن به.

وهذا لا يمكن أن يقال، عن أي نبي أو رسول.

شرط آخر ينبغي توفره في فداء الإنسان الساقط، أن الفادي لابد أن يكون بلا خطية، شخصًا لم يخطئ لا بالفكر أو بالقول أو بالفعل، وهذا حقيقي بالنسبة للمسيح، ولا ينطبق على غيره.

كل الأنبياء والرسل قد اعترفوا بأنهم أخطأوا.

لقد اعترف موسى بخطاياه وخطايا شعبه في مزمور ٩٠ حينما قال لله " قَدْ جَعَلْتَ آثَامَنَا أَمَامَكَ خَفِيَّاتِنَا فِي ضَوْءِ وَجْهِكَ." (مزمور ٩٠: ٨)

هذا كان موسى النبي العظيم، كليم الله، فماذا عني وعنك؟ لقد منعه الله من دخول الأرض بسبب خطأ قد يبدو صغيرًا بالنسبة لنا، فبدلاً من أن يُكلم الصخرة لكي تعطي ماءً كما أوصاه الرب أن يعمل، ضرب الصخرة بالعصا، لا يبدو الأمر خطيرًا جدًا، لكن الله اعتبره إهانة له، لأنه لم يعمل كما أوصاه الرب تمامًا.

النبي إشعياء اعتبر نفسه أنه قد هلك، حينما رأى قبساً من قداسة الله. " فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ. بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَاكَ: «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ». فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ وَامْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَاناً. فَقُلْتُ: «وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ

الشَّفَتَيْنِ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ»." (إشعياء ٦: ١-٥)

داود عوّم سريره بدموعه عندما فكّر في خطاياه " تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ فِرَاشِي." (مزمور ٦:٦)

وطلب من الله أن يطهّره وأن يخلق فيه قلبًا جديدًا " قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي." (مزمور ٥١:١٠)

يوحنا الرسول قال: " إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا." (١ يوحنا ١:٨)

بطرس الرسول قال للرب يسوع: "اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَارَبُّ لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ." (لوقا ٥:٨)

والرسول بولس يصف نفسه بأنه أول الخطاه "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا." (١تيموثاوس ١:١٥)

أين نجد رجلاً بلا خطية ؟

في المسيح فقط الذي يقول عنه الكتاب المقدّس:

" لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ." (٢كورنثوس ٥:٢١)

" الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ." (١بطرس٢:٢٢)

" وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ." (١يوحنا٣:٥)

فقط عن المسيح أستطيع القول: الذي لم يفعل خطية، لم يعرف خطية، ولم يكن فيه خطية ـ لذلك المسيح فقط يمكن أن يكون الفادي للبشرية، وليس سواه.

ثانيًا: لا نستطيع أن نخلّص أنفسنا عن طريق الأعمال الصالحة، لسوء الحظ، فان الكثيرين من الناس من كل الديانات تقريبًا يعتقدون أن بإمكان أعمالهم الصالحة أن تنجيهم من عقوبة خطاياهم، هم يعتقدون أنه في يوم الدينونة، فإن الله سوف يضع حسناتهم في كفة الميزان وسيئاتهم في الكفة الأخرى، وهذا يحدد مصيرهم.

ولكن هل يعرف أحد منا ثقل كل خطية؟

كم يزن الكذب؟ وكيف عن الكذب الكثير في مدة الحياة؟

وبالمثل كم يزن سوء الخلق، الخيانة، الطمع والخطايا الأخرى التي نرتكبها؟

إنه حقيقة لتفكير مرعب.

فالخطية يجب أن ينظر إليها في نور قداسة الله وليس بتقييمنا نحن.

والآن دعنا نُفكّر في حسناتنا وكم تزن.

كم يكلف أن تشتري قصرًا على الأرض، لتعيش فيه ٥٠ أو ٦٠ سنة أو حتى ١٠٠ سنة؟ وكم يكلف أن تربح قصرًا في السماء إلى دهر الدهور؟

أصدقائي ولا واحد منا لديه ما يدفعه ليربح قصرًا في السماء. فالسماء هي مسكن الله، وحتى لو لم يخطئ الإنسان لكان أمله الوحيد هو ألا يُلقى في جهنم، ولكن ليس من حقه أن يطالب بالسماء.

هل تعلم إن أعمالنا الحسنة غالبًا ما تكون ملوثة بالكبرياء أو رغبتنا في مديح الناس؟ ولا عجب أن يقول إشعياء النبي عن أعمال برنا أنها كخرق بالية "وَقَدْ صِرْنَا كُلُّنَا كَنَجِسٍ وَكَثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بِرِّنَا وَقَدْ ذَبُلْنَا كَوَرَقَةٍ وَآثَامُنَا كَرِيحٍ تَحْمِلُنَا." (إشعياء ٦٤:٦) وهو يُشير إلى تأدية أنشطة دينية بينما نحن في ذات الوقت نقترف الخطايا.

رأيت يومًا رجلاً يُصلي في مدخل مجمع سكني ضخم يتكون من عدة أدوار، وبينما الرجل يُصلي، دخل صبي وسبب ضجيجًا، فما كان من الرجل المُصلي، إلا أن أطلق وابلاً من الكلمات القذرة لاعنًا الصبي، جرى الصبي بعيدًا، فيما واصل الرجل الصلاة.

هل يمكن أن تكون صلاة كهذه مقبولة، مهما غسل هذا الرجل جسده؟

كيفما اعتبرنا الأعمال الصالحة والسلوك الحسن، فهذا هو واجبنا الذي يجب أن نعمله، لكنها لا تمحو خطايانا. وهذا حقًا مهم جدًا الحسنات لا تمحو السيئات، إن قتل رجل شخصًا فهو قاتل بغض النظر عما فعل من أعمال صالحة قبلاً.

وإن أخطأ أحد ولو مرة واحدة فهو خاطئ. ولا عجب أن يخبرنا الكتاب المقدّس، أنه على أساس الناموس (الشريعة) لا يستطيع أن يتبرر أحد أمام الله، "لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ." (رومية ٣:٢٠)

فالحقيقة أن ناموس الله يظهرنا كلنا، إننا جميعًا أخطأنا وأن نثق في أعمالنا الصالحة فتلك كارثة ولقد صوّر يسوع المسيح ذلك مرة بقصة مسجلة في (لوقا ١٨: ٩-١٤)

قال: إن رجلين ذهبا ليصليا، أحدهم كان رجلاً متدينًا جدًا من مذهب ضيق، بينما كان الآخر عشارًا، جابيًا للضرائب، وكانت هذه الفئة معروفة بإثمها وعدم أمانتها. بدأ الرجل المُتدين يُصلي ويشكر الله، إنه ليس مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، وشكر الله أيضًا إنه ليس رجلاً طالحًا كذاك العشار، وأنه يصوم مرتين في الاسبوع (١٠٤ أيام في السنة)، ويعطي عُشر دخله للأغراض الدينية.

وصلى أيضًا العشار، لكنه لم يرفع عينيه إلى السماء، بل قرع على صدره وقال: "اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ." (لوقا ١٨:١٣)
وبكلمات أخرى، كان الأول متدينًا وعمل أعمالاً صالحة، وفكّر أن الله سوف يقبله على هذا الأساس.

اعتبر نفسه أفضل من الآخرين، ومن وجهة نظر بشرية كان كذلك.
لكن الآخر عرف إنه خاطئ وطلب رحمة الله.

والآن دعونا نستمع إلى ما قاله المسيح عنهم. لقد وضّح المسيح أن الشخص الذي اعترف بكونه خاطئًا وبعدم استحقاقه حتى لأن يرفع عينيه نحو السماء، نزل إلى بيته مبررًا، لكن من الجهة الأخرى فإن صلاة المتدين، الذي اعتبر نفسه أفضل من الآخرين لم تكن ذات قيمة.

ثالثًا: ماذا عن مالمزج بين الأعمال الصالحة و نعمة الله؟
وفي كلمات أخرى: أيمكن للمرء أن يُخلص بمزيج من أعماله الصالحة ونعمة الله معاً؟
للوهلة الأولى قد يبدو هذا معقولاً، وهذا ما يعتقده أغلب الناس فهم يقولون: "نحن نعمل ما يجب علينا" والله يعمل ما يجب عليه لكن ماذا يقول الله عن هذا؟ إنه يقول: الكل بالنعمة وليس بالأعمال، إن للأعمال الصالحة مكانها في ثمار الخلاص، لكنها لا تُحصل لنا خلاصًا.

وهاك بعض الآيات من الكتاب المقدّس :
كلمة الله الموحى بها " لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. " (أفسس ٢: ٨-٩)
فيه (المسيح) لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا حسب غنى نعمته. " الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ." (أفسس١: ٧)
" مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ." (رومية ٣:٢٤)
وفي هذه الأعداد نرى أن الخلاص بنعمته الاحسان الذي لا نستحقه.

ونتعلم أيضًا أن هذه النعمة مُقدمة على أساس عمل المسيح الفدائي على الصليب.

فالنعمة هي عطية الله للإنسان، والإيمان هو قبول الإنسان لعطية الله، في (رومية ١١:٦) " فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالأَعْمَالِ وَإِلاَّ فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً وَإِلاَّ فَالْعَمَلُ لاَ يَكُونُ بَعْدُ عَمَلاً." فعطية الله إن كانت بالنعمة لا يمكن أن تكون بالأعمال. هذا هو تعليم الله الواضح في كلمته الموحى بها.

على أن الكثيرين يثيرون السؤال: إذا كان الخلاص بالنعمة عن طريق الإيمان، فهل يمكن أن يخلص أحد، وبعدها يفعل ما يريد ويستمر محتفظا بخلاصه!؟

والإجابة أن المؤمن الحقيقي يرغب أن يعمل فقط ما يسّر الله، الإيمان الحقيقي، والذي يعني قبول المسيح في القلب يصحب بولادة روحية، فالشخص

يصبح جديدًا، يحب البر، ويكره الشر، فالإيمان الذي لا ينتج تغييرًا في حياة الشخص ليس بإيمان حقيقي.

إنه ببساطة اتفاق مع إقرار أو قانون.

رابعًا: هل من العدل أن يعاقب الله يسوع المسيح عن خطايانا؟

يجب علينا أن ندرك، أن المسيح قدم نفسه طواعية لأجل خطايانا، لم يكن مُجبرًا على ذلك، لقد قال لتلاميذه إنه أتى "كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ." (متى ٢٠:٢٨)

قال أيضًا: "أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ." (يوحنا ١٠:١١)

ومُتكلمًا عن موته وقيامته قال: "لِهَذَا يُحِبُّنِي الآبُ لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضاً. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً. هَذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي." (يوحنا ١٠: ١٧-١٨)

وهكذا نرى أنه مات طوعًا، وإرادته كانت نفس إرادة أبيه، وكل هذا ينبغي أن يؤكد لنا محبته التي هي فوق الفهم البشري ويجب أن تقودنا لأن نحبه ونشكره.

و الخاصة: نرى أن موت المسيح حقيقة تاريخية حتمية لا تُنكر، وقد كانت ضرورية لخلاصنا.

رأينا أيضًا أنه لا أحد غيره كان يمكنه أن يكون مخلّصنا، وإن المسيح مات طواعية، وأكثر من هذا لقد رأينا أننا لا نستطيع أن نُخلّص أنفسنا.

لقد أعلن الله بوضوح أن ليس بأحد غير يسوع المسيح الخلاص. "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أعمال ٤:١٢)

" وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا. " (رومية ٥:٨)

الفصل الثالث
الثالــوث

هل هو تعدد آلهة ؟

قبل مناقشة هذا الموضوع الهام للغاية، من الضروري أن نُدرك الحقيقة الجوهرية، أن الكتاب المقدّس يُعلمنا إنه يوجد إله واحد فقط، وكلا العهدين القديم والجديد، يؤكدان لنا هذا الحق الجوهري.

وهاك بعض الاقتباسات

« فَاعْلَمِ الْيَوْمَ وَرَدِّدْ فِي قَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. لَيْسَ سِوَاهُ.» (تثنية ٤:٣٩)

« إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ.» (تثنية ٦: ٤-٥)

«هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ رَبُّ الْجُنُودِ: «أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ وَلاَ إِلَهَ غَيْرِي.» (إشعياء ٤٤:٦)

« أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلَهَ سِوَايَ. نَطَّقْتُكَ وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي.» (إشعياء ٤٥:٥)

« أَخْبِرُوا. قَدِّمُوا. وَلْيَتَشَاوَرُوا مَعاً. مَنْ أَعْلَمَ بِهَذِهِ مُنْذُ الْقَدِيمِ أَخْبَرَ بِهَا مُنْذُ زَمَانٍ؟ أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلَهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلَهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. لَيْسَ سِوَايَ. اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ.» (إشعياء ٤٥: ٢١-٢٢)

« لَيْسَ أَبٌ وَاحِدٌ لِكُلِّنَا؟ أَلَيْسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟ فَلِمَاذَا نَغْدُرُ الرَّجُلُ بِأَخِيهِ لِتَدْنِيسِ عَهْدِ آبَائِنَا؟ « (ملاخي ٢:١٠)

« حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».» (متى ٤:١٠)

« فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّداً يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. « (مرقس ١٢:٣٢)

« كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْداً بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟ وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟» (يوحنا ٥:٤٤)

« وَأَمَّا الْوَسِيطُ فَلاَ يَكُونُ لِوَاحِدٍ. وَلَكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ.» (غلاطية ٣:٢٠)

« لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.» (١ تيموثاوس ٢:٥)
« أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَناً تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ!.» (يعقوب ٢:١٩)

آيات أكثر بكثير يمكن أن تُقتبس تثبت هذه الحقيقة الجوهرية، إن الكتاب المقدّس يُعلمنا بوضوح وتركيز شديدين، أنه يوجد إله واحد فقط .
ومن الواضح إذًا، أن التعليم الكتابي المسيحي ليس هو تعدد آلهة.

معنى الثالوث
ماذا يقصد إذًا بالثالوث؟

إن كلمة ثالوث لا تُوجد بالكتاب المقدّس، البعض يستخدم كلمة وحدة ـ ثلاثية، وهذه أيضًا لا توجد في الكتاب المقدّس، إنها محاولة مُخلصة، لاستخدام لغة بشرية لوصف حقائق لاهوتية جليلة، تتعلق بطبيعة الله وجوهره، وينبغي أن يكون واضحًا لأي شخص عاقل، أن حقائق معينة عن الله، لهي أسمى من التعبير البشري.

وقد رأينا أن الكتاب المقدّس، يُعلّمنا أنه يوجد إله واحد فقط، ينبغي أن يوضّح أن وحدانيته تختلف عن وحدانية الإنسان، فالإنسان محدود بوحدانيته، وهذا صحيح بالنسبة لكل الكائنات، فالواحد لا يستطيع أن يكون في مدينة القاهرة بمصر، وفي الرباط بالمغرب في نفس الوقت.
لكن هل نستطيع أن نقول ذلك عن الواحد الحي الحقيقي، الخالق، قطعًا لا نستطيع.

فالله يستطيع أن يكون على عرشه في السماء، وعلى الأرض إن هو أراد، في نفس الوقت، ونحن لا نعني أن جزءًا منه يكون في السماء وجزءًا في الأرض لأن الله لا يتجزأ (غير منقسم).

فهو يستطيع بكل مجده وجلاله أن يكون على عرشه في السماء، وفي نفس الوقت على هذه الأرض، لأنه الله.

وهذا ما لا تستطيع أن تحلله بقواعد الطبيعة والرياضيات، لأن الله سام عن هذه القواعد، لقد وضع خليقته تحت قواعد الفيزياء والرياضيات والكيمياء... الخ.

لكنه هو نفسه فوق هذه القواعد، نستطيع القول أن ١+١+١ = ٣ عن الكائنات المخلوقة، عن المادة، لكن الله روح، فهو غير خاضع لهذه القوانين، وإن كان أحد يشعر بأنه غير راضٍ عن ذلك، فهو إذًا غير راضٍ، إلا أن يكون هو نفسه إلهاً.

مرة أخرى نقول، أن بإمكان الله أن يكون في السماء وعلى هذه الأرض في نفس الوقت، ويظل إلهًا واحدًا لا إثنين. وهذا هو ما حدث عندما أتى المسيح إلى هذه الأرض كإنسان.

الطريق الوحيد لأن نعرف حقائق عن الله، هو من خلال ما سُر هو أن يُعلنه لنا في الكلمة المقدسة.

وفي الكلمة المقدسة يُخبرنا الله بوضوح عن المسيح بالإجماع «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ.» (١تيموثاوس ٣:١٦)
وهذا ما يُعرف عمومًا بالتجسد، كلمة أخرى غير كتابية لكنها تُعرّف كحقيقة كتابية.

التجسد

يُشير إلى الله آتيًا إلى هذه الأرض في جسد بشري، وهذا قد يبدوا للوهلة الأولى غريبًا على الأقل لبعض الناس، أمر يصعب تصديقه، ولكن مع ذلك يُخبرنا التجسد أو الكتاب المقدّس ان الله يُحب الإنسان جدًا، محبة أبعد من تعبير الإنسان.

ونحن لأننا ذوي طبيعة خاطئة، لا نستطيع تخيل مثل هذه المحبة، لكنه «محبة» الله إلهية، إنها أيضًا تعلمنا أن الإنسان له قيمة غالية في نظر الله.
وقد تكلّمنا عن هذا سابقًا، لكن جيد أن نتذكر، أن الله حينما خلق الإنسان

دخل في علاقة وثيقة معه، لقد زاره وتكلّم معه في جنة عدن، وهذه العلاقة كسرت بسبب الخطية، لكن الله أراد أن يستعيدها، وإلا كان سيبدو أن الشيطان قد كسب المعركة، وهذا لا يمكن أن يحدث.

التجسد كان أيضًا «حتمًا» لعمل الفداء.

ربما بالكلام عن التجسد قد يفيد أن نراجع أو نتذكر بعض صور من التاريخ، حيث الكثيرين منّا قد سمعوا عن ملوك عظام ذهبوا إلى بيوت فقراء القوم متخفّين في ملابس بسيطة، بلا هيبة ملوكية، ليتكلموا معهم ويتعرفوا على احتياجاتهم بدون إخافتهم.

قرأت يومًا أن الخليفة عمر بن الخطاب، قد فعل ذلك لمّا كان الخليفة الثاني، ونحن بالتأكيد نجلّ هؤلاء الناس وفعلهم النبيل، وبقدر عظمة الشخص الذي يأخذ مكان الاتضاع، بقدر ما نجله، لكن من هو الانبل والأعظم من الكل؟ أليس هو الله الذي خلقنا جميعًا؟

إذا هو أراد أن يأتي إلى هذه الأرض كإنسان، هل يستطيع أحدنا أن يقول له ألا يفعل ذلك؟

هكذا اختار الله الطريقة الأمثل التي بها نستطيع أن نعرفه.

قرأت مرة قصة عن صبي كان يراقب طابورًا من النمل يعبر الطريق، وكان معجبًا بهم، ثم رأى سيارة من بُعد قادمة على الطريق، فابتدأ يصيح للنمل، مناديًا لهم أن يبتعدوا عن الطريق، وإلا قتلهم السيارة، سمعه رجل كبير وسأله ماذا هو فاعل، ولما أخبره الصبي، قال له الرجل الكبير «يا بني إذا كنت تريد أن يفهمك النمل، ينبغي أن تصير واحداً منها».

لقد أتى الله كإنسان لأنه بدون التجسد، لما أمكننا أن نعرف الله كما كنا نرجو أن نعرفه. ولهذا السبب قال المسيح «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ.» (يوحنا ١٤:٩) وفي (يوحنا ١:١٨) « اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» نجد هنا أنه لا أحد قد رأى الله أبدًا، لكن الابن الوحيد هو قد أعلن الله، وهذا يستحضرنا لسؤال هام:

ماذا تعني بالقول أن يسوع هو ابن الله؟

لا يمكن أن يفكر أحد بعقل سليم أن الله له زوجة أو صاحبة، وهذا الفكر مرفوض فيه كل من يعبد الله الحي الحقيقي الذي خلق السموات والأرض. الوثنيون في العصور الغابرة عبدوا آلهة وكان عندهم مثل هذه الأفكار، لكن المسيحي يعرف من صنعهم أن الله روح، وأن مجرّد ذكر مثل هذه الأمور لهو مستهجن عنده.

وقبل شرح ماذا تعني بنوية المسيح، ينبغي أن نقرّر أن هذه الحقيقة لم تنبع من فكر بشر، لكن الله نفسه هو الذي أعلن هذه الحقيقة.

لما أرسل الله الملاك جبرائيل إلى العذراء مريم، تكلم معها «فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ! فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيماً وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ.» (لوقا ١: ٢٨-٣٢)

ولما اندهشت مريم وقالت: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟». أجابها الملاك قائلاً «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ.» (لوقا ١:٣٥)

وهكذا فإن حقيقة كونه ابن الله، أعلنت بواسطة الله نفسه خلال الملاك جبرائيل، للعذراء مريم قبل أن تحبل.

وهذه الحقيقة أعلنت بطريقة مسموعة عند بداية خدمة المسيح العلنية. قبل أن يبدأ يسوع خدمته، ذهب ليرى يوحنا المعمدان عند نهر الأردن، ولكي يعتمد منه، وهكذا يعلن بدء خدمته لله وللناس، ولما خرج يسوع من الماء «حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» فَقَالَ يَسُوعُ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ

الله نازلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِياً عَلَيْهِ وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ».» (متى٣: ١٣-١٧) وتُذكر نفس الحادثة في إنجيلي مرقس ولوقا.

مرة ثانية، وقرب نهاية خدمة المسيح، وقبيل ذهابه إلى الصليب، أعلن الله نفس الحقيقة. في إنجيل (متى ١٧: ١-٥) «وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ. وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ. فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: «يَا رَبُّ جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ. لَكَ وَاحِدَةٌ وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ». وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا».» وهذا مُسجل أيضًا في إنجيلي مرقس ولوقا.

فإذا كان الله نفسه يسمي يسوع «ابنه الحبيب»
فهل يستطيع أحدنا الاعتراض؟
هل يستطيع أن يقل لله «لا تقل هذا»
وهكذا كثير من الآيات، التي يمكن أن تقتبس تُبين أن الكتاب المقدّس يُقرر بوضوح أن المسيح هو ابن الله، لكن الآيات المتقدمة اختيرت لتبين أن الله بنفسه هو الذي سمى يسوع ابنه.

ماذا تعني بنوية المسيح؟
قد رأينا أنها لا تعني أن الله تبارك اسمه قد اتخذ زوجة أو صاحبة، هذا الفكر هو في الحقيقة تجديف وكفر.
لكنها تعني أن المسيح من نفس طبيعة الله.
فإن، ابن البشر هو بالمثل بشر
والابن للبهيمة هو أيضًا بهيمة.
كابن الخمسين أي عمره يساوي خمسين سنة.

فبنوية المسيح بنوية روحية وليست جسدية، لم تنتج من علاقة تناسلية،

وأبعد من هذا ينبغي علينا أن نحني إجلالاً، مؤمنين بما يقوله المسيح عن نفسه مُدركين أن العقل الإنساني محدود ومتناهي والمحدود لا يمكن أن يدرك أو يحلّل غير المحدود. قبل التجديد عن طريق الإيمان بالمسيح، الذهن البشري في ظلمة روحية شاملة. وحينما يقبل الشخص المسيح كرب ومُخلص، سينتفي التشويش وتصبح النفس مُستنيرة.

والآيات التالية من الكتاب المقدّس تساعدنا، لأن نفهم الوحدة في اللاهوت. متكلمًا إلى المؤمنين، قال يسوع: «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ».» (يوحنا ١٠: ٢٧-٣٠)

ومتكلماً إلى تلاميذه قال لهم مرتين في (يوحنا ١٤: ٨-١١) «أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ.»

والروح القدس هو أيضًا الله، وهو واحد مع الآب والإبن، لما كذب شخص اسمه حنانيا، قال له بطرس الرسول «يَا حَنَانِيَّا لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ.» (أعمال٥: ٣-٤)

وقبل أن يصعد المسيح إلى السماء، أوصى تلاميذه أن يذهبوا إلى كل الأمم، مُعلنين رسالة الخلاص، ومعلّمين الناس ما علّمه هو لهم، أيضًا قال لهم «فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ. فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». آمِينَ.» (متى ٢٨: ١٨-٢٠)

لاحظ هو لم يقل بأسماء ولكن باسم، لأنه اسم واحد، اسم الله الحي الحقيقي، إنه سُر، نعم لكنها أيضًا حقيقة إلهية نُعلّم بها

بوضوح الكلمة المقدسة الموحى بها من الله.

وهناك أيضًا حق ودلالة وكم مرتبط بهذه الحقيقة، نحن ندرك محبة الآب الذي أرسل ابنه، الذي هو واحد معه، ليخلصنا من الدينونة. فالكتاب المقدّس يقول أن الله أرسل ابنه (وحرفيًا تعني الواحد والوحيد، الفريد) إلى هذا العالم ليموت بدلاً عنا. «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يوحنا ٣:١٦)

ونحن نرى أيضًا محبة المسيح الذي طوعًا مات من أجل خطايانا لنُمنح الغفران والحياة الأبدية، إذا نحن آمنا به وفتحنا قلوبنا له بالإيمان ليدخل ويسكن فينا.

وهناك أيضاً الروح القدس روح الله، الذي يُقنعنا بخطايانا، ويقودنا للتوبة والإيمان بالمسيح. فنحن نرى إذا عمل الله لبركتنا.

وتعليم الثالوث يحل معضلة أخرى، إنه يجيب السؤال الذي حيّر الكثيرين: قبل أن يخلق الله أي واحد، أو أي شيء، ألم يكن الله هو إله المحبة؟ من كان يحب آنذاك؟ متى كان في شركة معه؟ والإجابة على هذا السؤال في طبيعة الوحدانية الفريدة لله. كما تبين قبلاً، والأعداد اللاحقة تُبين هذا. كذلك لا يجوز أن تكون صفات الله معطلة قبل أن يخلق الإنسان.

قبيل ذهاب المسيح إلى الصليب ليموت بدلاً منا رفع عينيه إلى السماء وقال: «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ.» (يوحنا ١٧: ٥، ٢٤)

ومن الواضح مما قيل في هذا الأصحاح، أن المسيح ليس مجرد إنسان، ليس كافيًا أن نؤمن أنه نبي، أو رسول، أو معلم عظيم، أو صانع معجزات عجيب، هو الله ظاهرًا في الجسد. وهذا هو حجر العثرة بالنسبة لغير المؤمنين.

لقد كان هذا هو حجر العثرة لليهود، الذين طالبوا بموته لقد كانوا يطلبون أن يقتلوه «فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ.» (يوحنا ٥:١٨)، وطلبوا من بيلاطس البنطي الوالي الروماني أن يصلبه قائلين «أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَنَا نَامُوسٌ وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللهِ».» (يوحنا ١٩:٧) مع أن المسيح قال صراحة «فَقُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ».» (يوحنا ٨:٢٤)

فالاختيار إذًا واضح جدًا، فالمرء يمكن أن يأخذ جانب اليهود غير المؤمنين الذين ماتوا في خطاياهم لأنهم رفضوا أن يؤمنوا بلاهوت المسيح أو أن يؤمنوا بتعليم كلمة الله الواضح.

والأدلة على إلوهية المسيح كثيرة وتحتاج إلى كتاب كامل لتقديمها بالتفصيل، ولكن بالاختصار فهي تشمل الآتي:

العهد القديم يقول صراحة:

« لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ.» (إشعياء ٩:٦)

وفي العهد الجديد: «الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبَشِّرُ بِالسَّلاَمِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. هذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ.» (أعمال ١٠:٣٦)

« الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ - لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ.» (١ كورنثوس ٢:٨)

و « وَلَهُمُ الآبَاءُ وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهاً مُبَارَكاً إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.» (رومية ٩:٥)

معجزاته تشهد بلاهوته:

لقد أعلن المسيح لاهوته، وقد شهدت معجزاته للحق الذي أعلنه، فهو قد شفى المرضى، طهّر البرص، فتح عيون العمي، وأقام الموتى، لقد أطعم خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد من خمسة خبزات وسمكتين، وكان هذا من أعمال الخلق.

وفي الحقيقة لقد أعلن القرآن، إنه خلق طيرًا وأعطاه حياة. وأن يكون خالقاً للحياة فهو إذًا إله.

ولقد مارس المسيح سلطانه على الطبيعة، فلقد أمر الريح الهائجة وأمواج المياه أن تهدأ، ولقد أطاعت حالاً أمره، مشى على مياه البحر، وصنع الكثير من المعجزات الأخرى.

وليس فقط أن المسيح عمل كل هذه المعجزات، لكنه أعطى سلطاناً لتلاميذه « ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ.» (متى ١٠:١)

وقد عملوا معجزات باسمه، ولكن المسيح عمل المعجزات بقوة اسمه هو. حتى بعدما صعد إلى السماء، عمل تلاميذه معجزات الشفاء بسلطان اسم يسوع، واستطاع بطرس أن يقول للرجل الأعرج منذ ولادته «فَقَالَ بُطْرُسُ: «لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ». (أعمال ٣: ٦) حقيقة يا له من اسم مجيد.

والكتاب المقدّس يُبين مؤكدًا أننا فقط يمكن أن نخلص من خلال المسيح «وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال ٤:١٢)

وأيضًا « لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا».» (أعمال ١٠:٤٣)

وهذا لم يُقل قط، و ما كان ليقال عن مجرد إنسان، نبيًا كان أم رسولاً. لا إبراهيم ولا موسى. ولا كان ليقال للناس عن أي نبي أنه إن هم قبلوه في قلوبهم سوف ينالوا الغفران والحياة الأبدية.

لمّا تاب اللّص الذي كان مصلوبًا مع يسوع، وقال له أن يذكره، فإن المسيح وعده أن يكون معه في الفردوس في نفس اليوم، ولا يستطع أي إنسان مجرد أن يُعطي مثل هذا الوعد للص مائت. انظر (لوقا ٢٣: ٣٩-٤٣)

حينما يقبل أشر الخطاة المسيح، فإن حياته تتغير ويصبح إنسانًا جديدًا، وهذا

دليل على أن يسوع ليس مجرد نبي أو رسول، والحقيقة أن الرسل أنفسهم أعلنوا أنهم كانوا رسل وخدام المسيح.

فلا يصبح المرء مسيحيًا حقيقيًا، لولادته لابوين مسيحيين، أو باقراره قانون للإيمان، أو بعضويته بالكنيسة، لكن بقبول المسيح في قلب الشخص، وكنتيجة، فإن عملاً إلهيًا يأخذ مجراه في هذا الشخص، ويخلص ويستطيع أن يتأكد أنه سوف يذهب للسماء لما تنتهي حياته على الأرض، وأعظم إعلان وأبهج أخبار لجنسنا الساقط الخاطئ هي: « لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. « (يوحنا ٣:١٦)

وقبل الانتهاء من هذه الدراسة، أريد أن أؤكد نقطة في غاية الأهمية، ذكرت في السابق أنه فقط يمكننا أن نخلص بتبعية الله، بالإيمان بربنا يسوع المسيح، الذي مات لأجلنا، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، لكن ينال غفران الخطايا والحياة الأبدية.

يقول الكتاب المقدّس «لأَنَّ النَّامُوسَ (الشريعة) بِمُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا.» (يوحنا ١:١٧)

فالناموس يطالب بالقصاص، إنه يُبين لنا أننا جميعًا خطاة، ونستحق الهلاك، لكن الإيمان الحقيقي بيسوع المسيح يصيّرنا أناساً جدداً. أي مولودين من جديد ولادة روحية.

الكتاب المقدّس يُعلمنا هذه الحقيقة، أن الذين يؤمنون بالمسيح، أي يقبلونه في قلوبهم هم أولاد الله من خلال ولادة جديدة، ولادة روحية. انظر (يوحنا ١: ١٢-١٣)

لكن النعمة هذه التي تُخلّصنا تُعلّمنا أيضًا أن نحيا حياة تقوية.
ماذا عن إنسان كان لصًا ؟
إن النعمة تُعلمه ألا يسرق فيما بعد، «بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ،

ليَكُونَ لَهُ أنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ» (أفسس ٤:٢٨)
لكن الإيمان بالمسيح يفعل.
ياله من تغيير! إن قطع يديه لن يُغير قلبه،
وهذا حقيقي بالنسبة لكل أنواع الخطايا.
فإن المؤمن الحقيقي يتعلم أنه ينتمي كليةً للرب روحًا ونفسًا وجسدًا.
كان بعض المؤمنين بكورنثوس - باليونان، قبل خلاصهم أناسًا أشرارًا جدًا،
وقد كتب إليهم الرسول بولس قائلاً « وَهكَذَا كَانَ أنَاسٌ مِنْكُمْ. لَكِنِ اغْتَسَلْتُمْ بَلْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إلهِنَا.» (١كورنثوس ٦:١١)

لقد أُتهِمَ المسيح بواسطة القادة الدينيين، لأنه يقبل خطاة ويأكل معهم ويعلّمهم، وأعطاهم عندئذ مثل الابن الضال، الذي ترك البيت، بذّر ماله وأصبح محتاجًا، لكنه أخيرًا «رجع إلى نفسه» واعترف بضلاله، وقرّر أن يعود إلى ابيه، مُعترفًا بخطئه وطالبًا أن يُقبل كأجير، اعترف أنه ليس مستحقًا أن يُقبل كابن، لأنه اخطأ إلى أبيه وإلى السماء.

لكن لما رآه أبوه من بعيد تحنن عليه، وجرى نحوه واحتضنه وقبّله، لقد أراد المسيح أن نعرف قلب الآب السماوي، الذي يشتاق لعودتنا له.

لم يقبله الأب فقط، بل غيّر حالته، أعطاه الحُلّة الأولى وصنع له وليمة قائلاً: إن ابنه كان ضالاً فوجد، وكان ميتًا فعاش. قال المسيح لسامعيه: إن السماء والملائكة تفرح بخاطئ واحد يتوب. (من فضلك اقرأ لوقا ١٥) فإن نعمته تخلصنا وتُغيّرنا وتُجهّزنا للوقت الذي فيه سنكون معه للأبد.

« لأنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَةً إيَّانَا أنْ نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ (أي لا نتعامل معها)، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ، مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أعْمَالٍ حَسَنَةٍ.» (تيطس٢: ١١-١٤)

خلاصة

كُتب هذا الكتاب ليشرح تلك الحقائق الكتابية، والتي وُجدت صعبة للباحث المُخلص، الذي يبغي الحق فوق كل شيء آخر يمكن أن يُقدمه هذا العالم.

وليس هدفي أن أهاجم إيمان أي واحد، ولا أن أثبت تفوق مجموعة من الناس على أخرى، فكلنا خطاة وكلنا قد كسرنا وصايا الله، لذا فجميعنا نحتاج خلاص الله بنعمته من خلال الإيمان بالمسيح وبكلمته في الكتاب المقدّس.

لقد أعلن الله لنا بوضوح الطريق للخلاص، لقد بيّن لنا كيف يمكن لنا أن نتأكد أننا لن نذهب أبدًا للجحيم. وأن نعرف يقينًا أننا سنذهب للسماء، ولهذا فإن أول ما ناقشنا هو كيف نثبت أن الكتاب المقدّس لم يتغير، وأنه الكلمة الموحى بها من الله.

وكان يجب اثبات ذلك وإلا لما كان لباقي المناقشة أية قيمة، حيث أنها كلها بُنيت على أقوال الكتاب المقدّس. فالله «يُرِيدُ أنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ.» (١تيموثاوس ٢:٤) وهذا عين ما نرجوه نحن أيضًا.

لقد كُتب الكتيب بدافع الصداقة والمحبة وليس لرغبة في الجدل والهجوم.

أن تتغير المعتقدات الدينية لشخص، لهو أمر جدي، وغالبًا ما يكون مؤلمًا للغاية، لأننا قد نشأنا من طفولتنا الباكرة على هذه المعتقدات، وهي تغدو متأصلة فينا أكثر فأكثر مع مرور الزمن.

فتغيرها يصبح مثل «تقطيع الأوصال، أو نزع لحمنا عن عظامنا» عملية مؤلمة جدًا.

لكن يبقى في الأخر، أنه الأحسن دائمًا أن «اقْتَنِ الْحَقَّ وَلاَ تَبِعْهُ.» (أمثال ٢٣:٢٣)

قال المسيح: « إنَّكُمْ إنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي.» (يوحنا ٨: ٣١)

إلى أصدقائي المسلمين

المسيحية والإسلام ديانتان رئيستان في العالم كل منهما تدّعي أنها الحق معلناً من الله الحي الحقيقي، الذي خلق السماوات والأرض

هذا المُصَنّف يصف بطريقة واضحة وودودة تعاليم الكتاب المقدس الرئيسة، والتي غالبًا ما يُساء فهمها، أو التي تبدو للمُسلم المخلص أنها تجديف.

ثلاثة موضوعات نوقشت: الكتاب المقدس، قضية الصلب، والثالوث. وهذا الكتيب سوف يساعد كل باحث مخلِص عن الحق.

عن الكاتب :
أ. م. بهنام طبيب متقاعد، وُلِدَ في مصر، وعاش في الولايات المتحدة. د. بهنام يُعلّم الكتاب المقدس في موطنه، وفي المؤتمرات، في الولايات المتحدة وعبر البحار. وتُذاع عظاته بالراديو لجهات كثيرة في العالم.

WWW.GABBERTijd.NL
is
VERANDERD ALSO ENGLISH

140 To My Muslim Friends (Arabic)